حروب الاحتلال والتدخل في الرواية العراقية ٢٠٠٤-٢٠١٣ وروايات الكاتب الأميركي خالد حسيني: دراسة ثقافية مقارنة

الباحث: عبد الحسين شايع علي **أ. د. يوسف محمد جابر إسكندر**

جامعة بغداد- كلية الآداب – قسم اللغة العربية **جامعة بغداد- كلية الآداب – قسم اللغة العربية**

abdul.sh.ali81@gmail.com

(مُلَخَّصُ البَحث)

يناقش البحث حروب الاحتلال والتدخلات العسكرية في العراق وأفغانستان خلال العقود الأخيرة، وتمثلاتها في الروايات العراقية الصادرة بين أعوام ٢٠٠٤-٢٠١٣ ومقارنتها مع روايات الكاتب الأميركي-الأفغاني خالد حسيني الصادرة باللغة الانكليزية. يتناول البحث تلك الحروب بدءاً بالتدخل السوفييتي، ثم الغزو الأميركي لأفغانستان. كذلك الحرب العراقية-الإيرانية، وحرب الخليج الأولى، وغزو أمريكا للعراق. كشفت دراسة الروايات آثار تلك الأحداث على المجتمعين العراقي والأفغاني متمثلة بضحاياها من العسكريين والمدنيين، وتبعاتها الجسدية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية.

وظفت الدراسة مقاربات الدراسات الثقافية المقارنة في التحليل والمقارنة لظاهرة الحروب والتدخلات في الرواية لنقد الحرب بوصفها أداة عنف للصراع على النفوذ السلطة. وبينت أوجه التشابه والاختلاف في تمثل الحرب بين الروايات العراقية وروايات حسيني.

وجد البحث أن الروايات المذكورة عكست الأحداث الحربية المتتالية في البلدين، وأن الحرب كانت وسيلة بيد القوى المتصارعة الإقليمية والدولية، وعبرت عن مدى التدمير الحاصل في البلدين. أظهر البحث العلاقة بين الحرب والسلطة من جهة، والعلاقة المتشابكة لعملية انتاج الأعمال الروائية بالسلطة والقوى الممثلة لها.

كلمات مفتاحية: مجتمع الحرب، الرواية العراقية، أفغانستان، الأدب المقارن، الدراسات الثقافية المقارنة

اقترنت الرواية العراقية خلال العقود الأخيرة، في معظم نماذجها بالحروب أو بآثارها، بشكل أو بآخر، بشكل لا فكاك منه. وكان المجتمع العراقي خلال تلك العقود ومازال يعيش ويقاسي ظروف تلك الحروب ذات النتائج المدمرة على مختلف الأصعدة. وهذا الأمر ينطبق على روايات خالد حسيني الثلاث؛ ذلك أنها تعالج في

موضوعاتها الرئيسة أحداثاً وأوضاعاً مرت، وشخصيات عاشت في خضم المجتمع الأفغاني وويلات الحروب المتعاقبة التي عاناها. وإذا كان الأدب عموماً يتصل بالتجارب الكبرى للمجتمعات التي يُنتج في ظهرانيها، فإن الرواية هي أكثر الأنواع الأدبية اتصالاً بالمجتمع الحديث وتعبيراً عن علاقاته المعقدة والمتناقضة.

وصف هيغل الرواية بأنها ملحمة المجتمع البرجوازي. وإذا كانت الملحمة سرداً شعرياً لمجتمعات متخمة بالبطولة والميثيولوجيا، حيث البشر فيها عظماء حد الألوهية، والآلهة دنيويون أكثر ضجيجاً من البشر، فإن الرواية هي النوع الأدبي الأكثر تعبيراً عن المجتمعات الحديثة. حيث يتميز فكرها بعقلانية أكثر مما هي عليه مجتمعات عصور الملاحم البطولية، وبفردانية البطل الذي هو في حالة صراع مع محيطه، على عكس بطل الملحمة الذي يمثل الجماعة ونزوعها العام. لذا يصف جورج لوكاش أبطال الرواية بالسلبية أو الإشكالية مقابل البطولة في الملحمة. "وسلبية بطل الرواية هذه، هي ضرورة لابد منها حتى نستطيع أن نبرز صورة العالم المتعاظمة من حوله وعلاقته بها .. من ناحية، [و] العجز الذي هي عليه الرواية البرجوازية في مجال تجسيد 'بطل إيجابي' من ناحية أخرى".[١]

وعليه لن يكون غريباً أن نلحظ أهم الأحداث وأكثرها أثراً في حياة الناس في هذه البلاد حاضرة بكل قوة في الرواية عبر صراع يخوضه أفراد يواجهون مصيرهم منفردين، رغم وجود الآلاف الذين يمرون بمصائر مشابه من حولهم. فمع تعدد التجارب وتنوعها على قدر تعدد واختلافهم البشر تنوع النتاج الروائي في العراق وأصبح غزيراً من الناحية الكمية حينما أصبحت هناك فسحة لصوت الفرد في الثقافة بعد أن كان صوت السلطة المهيمن يتلفع برداء ثقافة المجموع. من المهم أن نذكر أن عدداً من أهم الأعمال الروائية للكتاب الأفغان –وأكثرهم كانوا مهاجرين في الغرب أو في البلدان المجاورة – جاءت إثر توفر فرصة اتصال إولئك الكتاب مع مجتمعاتهم بعد سقوط نظام طالبان وتوفر فضاء أوسع من التعبير نسبياً. ولعل تجربة خالد حسيني مثال واضح بهذا الصدد. إذ كتب أولى رواياته، التي نالت شهرة عالمية كبيرة، بعد زيارته إلى أفغانستان بعيد سقوط نظام طالبان.

الرواية ليست نقلاً صرفاً للوقائع، إنما هي، في أغلب نماذجها، محاكاة أدبية لعناصر معينة من الحياة منسوجة بأسلوب فني. فالرواية تصور وتجتزيء وتؤول وتختبر تلك العناصر في موشور متحرك، دائماً، من مشاعر وأفكار وأحاسيس الشخصيات الروائية، لتعطي درجات متفاوتة من أطيافها للمتلقي. بيد أن الرواية تبقى لصيقة بالحياة، تتناول منها موادها، وتعمل عليها لتعيد تشكيلها في خطاب.

هذا الخطاب هو ما يمكن تقصي ملامح مجتمع الحرب في ثناياه والكشف عن دلالاته وحمولاته الثقافية.

في روايات الفترة التي يتناولها هذا البحث تطغى موضوعة الحرب وآثارها، المباشرة وغير المباشرة، والتي تمتد إلى فترات تتجاوز زمن الحرب كثيراً. يتناول هذا المبحث ظاهرة الحرب وأبعادها في مجتمعي البلدين في نماذج من الرواية العراقية وروايات الكاتب الأميركي خالد حسيني. تلك الحروب التي دخل فيها البلدان طرفاً في نزاع مسلح مع دول أخرى، وحروب التدخل فيهما أواحتلالهما من أطراف خارجية. وقد حفل تاريخ العراق وأفغانستان بتجارب مريرة، وطويلة، ومتشابهة من تلك الحروب، وحتى متزامنة غالباً. الغزوات البريطانية الثلاث على أفغانستان في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، والغزو البريطاني واحتلال العراق أواخر الحرب العالمية الأولى، والتدخل السوفييتي في أفغانستان ١٩٧٩، حرب أمريكا على العراق ١٩٩١، حرب أمريكا للإطاحة بنظام طالبان ٢٠٠١، وحرب أمريكا للإطاحة بنظام صدام حسين ٢٠٠٣، والحرب الأهلية في البلدين. ستكون مقاربات الدراسات الثقافية المقارنة هي الأداة الرئيسة في تحليل الروايات والكشف عن مضامينها الصريحة والمضمرة في خطاباتها.

كان لحروب العراق وأفغانستان ثمن باهظ. فقدت دمرت البلدين وتركتهما يلهثان خلف ركب أكثر البلدان تخلفاً في العالم. أكبر خسارات الحرب هو الإنسان. فكل المقدرات الأخرى مهما تمتعت المجتمعات ببعضها، أو افتقدت بعضها الآخر، فهي ليست عقبة جدية أمام نهوضها وتقدمها. فبناء الإنسان ثقافياً وعلمياً وحضارياً ومده بأسباب الإبداع والإبتكار وتوفير الفرص المتكافئة لنموه في فضاء من الحرية والعدالة هو الكفيل بارتقاء المجتمعات.

في بعض الأحيان وعندما تكون الحرب على الجبهات، أو في أطراف البلاد تبدو الحياة، وعلى نحو مخادع، هادئة لمن هم بعيدون عنها. هكذا كانت تبدو الحرب العراقية–الإيرانية بالنسبة للراوي في رواية (أساتذة الوهم) لعلي بدر، رغم أنه جندي يعيش ويلات الحرب، ولم يبعد عنها سوى أسبوع واحد، هو إجازته الدورية يقضيها في مدينته، بغداد، رفقة صديقين جنديين، هما عيسى ومنير. يقول: "الحرب بعيدة الآن، إنها هناك على الحدود، ونحن في إجازة، ليست طويلة ولكننا لا نريد أن نفكر بانتهائها، علينا أن نفكر بهذه اللحظة بالذات ..."[٢] فالإجازة بالنسبة لجندي يخوض الحرب في جبهات القتال ليست مخصصة لاستعادة

لحظاتها البشعة، إنما لعيش اللحظة المقتطعة من ساحات الموت في مدينة توفر أجواء تبدو أكثر طبيعية من ميادين الصراع الدامي.

في رواية خالد حسيني (ألف شمس مشرقة) نلحظ شعوراً مشابهاً لدى ليلى. ففي أيام الحرب بين القوات الحكومية والقوات السوفييتية من جانب، وفصائل (المجاهدين) من جانب آخر، يقرر بابي أن يأخذ ابنته ليلى مع جارهم طارق في رحلة إلى باميان لكي يروا بعضاً من معالم بلادهم الآثارية. حيث هناك تماثيل بوذا الضخمة المنحوتة في الجبل. في الطريق تشاهد ليلى الريف وآثار الحرب أيضاً في الآليات العسكرية المعطوبة بجانب الطرق. تنظر إلى تلك المشاهد وتحاور نفسها: "فكرتْ أن هذه هي أفغانستان أحمد ونور ... هي هنا في الأقاليم، حيث دارت الحرب. وليست في كابول. كانت كابول عموماً في حالة سلام. وراءها في كابول، باستثناء اطلاقات رصاص متباعدة، باستثناء الجنود السوفييت الذين يدخنون على الأرصفة، وعربات الجيب السوفييتية تتصادم في الشوارع، لكانت الحرب أقرب إلى شائعة".[٣] أحمد ونور هما أخوا ليلى اللذين التحقا بما عرف بـ (الجهاد) في قوات أحمد شاه مسعود لمقاتلة السوفييت والحكومة من أواخر السبعينيات وحتى عام ١٩٨٩.

مهما كانت الحروب بعيدة، ومهما بدت بعض الأوقات بمنأى عنها أشبه بنزهة، إلا إنها إذا امتدت وطالت، كما هي حروب العراق وأفغانستان، فإنها لابد وأن تتسع لتحرق الكثير، وتتعاظم تكاليفها لتترك مأساة في كل ركن بحيث يستحيل إغماض العين عن فجائعها. تعطينا روايات خالد حسيني والروايات العراقية موضوع الدراسة أمثلة كثيرة ومتواترة على تلك الكلفة البشرية الهائلة. نرى نماذج شتى لضحايا الحرب من القتلى والمصابين. في مساء يوم بينما كانت ليلى تراجع دروسها مع أبيها، طرق رجل غريب الباب. خرجت له ليلى. طلب منها أن يتحدث إلى والديها: "سمعت ليلى الزائر يقول لأبيها أنه يحمل أخباراً من بنجشير. كانت مامي في الغرفة الآن أيضاً. غطت فمها بإحدى يديها ... رأت الغريب يجلس مع والديها. مال نحوهما. همس ببضعة كلمات. عندها كان وجه بابي شاحباً، فأصبح أكثر شحوباً، ثم نظر إلى يديه، وكانت مامي تصرخ، تصرخ، وتشد شعرها".[٤] الخبر الذي جاء به ذلك الرجل من بنجشير إلى الشمال من كابول، حيث يقاتل أحمد ونور، هو خبر مقتلهما.

إن مشكلات الحرب وآثارها لا تنحصر في نطاق الخراب المادي، والكلفة البشرية الجسيمة بفقد أعزاء وحسب، بل تتعدى هذا إلى مديات أوسع بالمقياس

الاجتماعي. الحرب تثقل الحياة اللاحقة على مدى أجيال، وربما تخربها أيضاً. من أمثلة هذا في رواية (ألف شمس مشرقة) لخالد حسيني، هو الاهمال الذي طال الطفلة ليلى من جانب أمها. أمها التي كان قلقها وخوفها، على ولديها طوال سنوات قتالهما، قد استحوذ على طاقاتها وتفكيرها، وعطل قدراتها في تحمل مسؤولياتها تجاه بيتها وابنتها الصغيرة. بعد فقدان الولدين المأساوي تصبح الأم ظلاً في البيت، تعاني الآلام والأمراض والاكتئاب. الأمر الذي ينسحب على ليلى التي جربت الإهمال وتحمل مشقة أعمال البيت وهي طفلة. "اضطجعت ليلى هناك واستمعت، متأملة أن تلحظ مامي أنها، هي ليلى، لم تصبح شهيدة، وأنها على قيد الحياة، هنا، في السرير معها، وأنها لها آمالها ومستقبلها. لكن ليلى كانت تعرف أن مستقبلها ليس مكافئاً لماضي أخويها. فقد دفعاها للظل في حياتهما، وسيطمسانها في موتهما".[٥] بقيت ليلى تشعر بوطأة حرمانها من أمها للسنوات القادمة، حتى حرمت من والديها نهائياً ومن كامل عائلتها بمقتل والديها لاحقاً في قصف طال بيتهم. كانت مامي عندما تتحدث فإنها تتحدث عن حزنها وفقدانها، وتتذكر ولديها دون انتباه لليلى الحية، الباقية إلى جانبها، التي تتمدد إلى جانبها في السرير أحياناً.

في ذروة حزن مامي على ولديها وشدة اكتئابها، تعمد ليلى إلى اخفاء السكاكين وأسياخ الشواء والحبال وتخشى أن ينسى أبوها شفرات الحلاقة بعد استعمالها. كل هذا خوفاً من أن تراود أمها أفكار انتحارية. وحين تسأل ملمحة إلى أمها بتوتر واضح فيما إذا فكرت في شيء من هذا القبيل، تفهم أمها ما تقصد حتى قبل أن تكمل ليلى سؤالها. تعترف أمها بأن هذه الأفكار راودتها ليلة تلقوا الخبر. لكنها تطمئن ابنتها أنها ستعيش من أجل أن ترى حلم ولديها يتحقق بهزيمة السوفييت وانتصار (المجاهدين). يولد الأمر مشاعر متضاربة في نفس ليلى بين اطمئنانها على أمها من تلك الأفكار الإنتحارية، وبين كون أمها لا ترجح الحياة من أجلها هي الباقية على قيد الحياة ومستقبلها، إنما من أجل الولدين الميتين وأحلامهما. "لن يكون بإمكانها أن تترك أثراً في قلب أمها على غرار أثر أخويها، لأن قلب أمها كان مثل شاطئ يصفعه الموج حيث أثر أقدام ليلى سينجرف دائماً تحت موجات الحزن التي تتجمع فتنكسر، تتجمع فتنكسر".[٦]

الراوي في رواية علي بدر(أساتذة الوهم) هو جندي من مجموعة جنود شعراء يتعرفون على بعضهم في جبهات القتال. تتوطد صداقاتهم ويلتقون في الإجازات ويمضون أوقاتهم معاً في القراءة والنقاشات والتسكع. يلتقي الراوي أخت صديقه منير وأمه الروسية في أحد أسواق بغداد صدفة ولآخر مرة، يتطلع الراوي في الأم

فيرى آثار الشيخوخة والفقدان وظروف البلاد وحروبها بادية عليها في عام ١٩٩٣. يعبر عن ذلك قائلاً: "وحين رأيتها هذه المرة لم يكن بإمكاني ان أصدق أن الزمن استطاع أن يحدث مثل هذا الخراب ليس في العراق وحسب، إنما في هذه العائلة التي فقدت ابنها في الحرب أيضاً".[٧] فمثلما أدى مقتل أحمد ونور في حرب أفغانستان، في رواية (ألف شمس مشرقة) إلى تدمير نفسية الأم واضطراب حياة العائلة، نرى مقتل منير في الحرب غير هيئة المرأتين وأصاب الأم بالوهن والشيخوخة والخراب وكأن حال هذه العائلة هو نموذج من حال البلاد بأسرها.

يشكو بيتر بومنت المراسل الحربي، الذي غطى الأعمال القتالية للقوات الأمريكية في العراق وأماكن أخرى، لطبيبه في لندن من مشاكله مع التجربة القاسية للحرب التي تواصل ضغطها على نفسيته. يجيبه طبيبه أنه: "على المدى الطويل، آجلاً أو عاجلاً، ستغيرك الحرب وتؤذيك ... الأجزاء تبلى، ولكنها لم تتداعى بعد ... أما أن تُقتل أو تتبعثر. ثم أما تواجه انهياراً لا تشفى منه، أو تتخلص منه".[٨]

أن بعض تجارب الحرب تفوق التصور في قسوتها. فإذا كانت التغطية الصحفية لوقائع الحرب على قصرها –وهي مريرة ولا شك– تقود إلى مثل هذه المعاناة الأليمة لصاحبها، فما هو حجم الآلام والخسارة التي تقاسيها شخصيتا كافي الكيلاني وخطيبته أسامي في رواية ميسلون هادي (زينب وماري وياسمين). كافي يصبح ضابطاً مجنداً بعد تخرجه بالتزامن مع اندلاع الحرب العراقية–الإيرانية. يقضي في الحرب ثماني سنوات. يؤسر في أثناء وجود كتيبتهم في حلبجة في آذار عام ١٩٨٨. تدمرت الكتيبة التي طالها القصف بالسلاح الكيمياوي مع سكان المدينة المنكوبة، ولم ينجُ منها سوى ثلاثة عشر شخصاً، من بينهم كافي. يقع في الأسر على إثرها ولا يعود إلا والبلاد مقبلة على حرب ثالثة –حرب أميركا على العراق ٢٠٠٣–. يجد أباه قد توفي، وأخاه وأخته الصغيرين كبرا وتزوجا. لم يحتمل أوضاع الحرب والاحتلال، وكان يشكو مرضاً في بطنه. لذلك يهاجر إلى السويد من أجل العلاج، وعلى أمل أن يرسل بطلب خطيبته أسامي، لكنه يتوفى هناك. الغريب أن أسامي لم تعرف بالخبر إلا من لافتة نعي له شاهدتها في اليرموك بينما كانت في جولة مع ياسمين. حينها وقفت بسيارتها وأصيبت بالذهول ولم تفصح شيئاً. هذا ما وجدت ياسمين له تفسيراً بعد عام من ذلك عندما اخبرتها تبارك بالقصة واعطتها دفتراً، سمته دفتر الأفلام. كان الأسير يتغلب على وحشة الأسر وهمومه بكتابة احداث الأفلام التي كان شاهدها قبلاً. أصبح الدفتر بيد الطبيب المعالج من أصل عراقي في السويد بعد وفاة كافي. الطبيب هو زوج اخت تبارك.

اوصلوه لتبارك لتوصله لأسامي عن طريق ياسمين.[٩] الحصيلة من كل ذلك ضياع شباب رجل في زنازين الأسر، ثم الأمراض والموت في المهجر، وتلاشي آمال حياة كاملة لامرأة، صادرتها الحرب بعد أن وضعتها على لائحة انتظار أفضت إلى الخسران.

لابد من التوقف هنا عند مأساة حلبجة وقصفها بالسلاح الكيمياوي التي وردت في سياق اشتراك كافي في الحرب في تلك المنطقة. ويرد قصف الحكومة للكرد أيضاً في رواية طشاري بشكل تلميح إلى قصف الأكراد الذي يجعل شخصية الطيار العسكري المسيحي في رواية أنعام كجه جي يتخذ موقفاً مبدئياً وشجاعاً في التخلص من مهنته التي يكرهها بسبب تلك الأعمال الإجرامية بحق أقلية مضطهدة. تتحدث ابنة أخت وردية، الشخصية الرئيسة في الإجابة على سؤال ابنها المراهق حول أولمبي أحد رجال العائلة وعن غرابة اسمه، فتقول: "كان طياراً في الجيش لكنه كره عملَه بعد قصف الأكراد. اخترع مرضاً وهمياً ليحيلوه على التقاعد. ثم مات بمرض حقيقي وهو دون السبعين".[١٠] الرواية لا تعطي إشارة واضحة على أن القصف المقصود هو قصف حلبجة تحديداً. كذلك بالنظر إلى أن عمره كان دون السبعين عندما توفي مع كون تولده حدث من زيجة بين ألمبيوس الطبيب اليوناني ونجمة المسيحية العراقية في زمن الحكم العثماني في العراق الذي انتهى مع نهاية الحرب العالمية الأولى، فضلاً عن تقاعده المبكر، يجعلنا نجزم أن القصف المذكور هو قصف في عمليات هي أقدم من قصف حلبجة، وربما أقدم من الحرب العراقية–الإيرانية. وعلى الأرجح حدث ذلك في الأعمال الحربية ضد الأكراد في الستينيات أو السبعينيات من القرن العشرين. ومهما يكن من أمر فإن الرواية هنا تثبت سلوكاً وموقفاً رافضاً للظلم والممارسات الشوفينية للسلطة الحاكمة بحق قسم من أقسام المجتمع، خصوصاً وأن الرفض يأتي من شخص هو ليس كردياً، إنما هو من إثنية وديانة مختلفة.

لا تقتصر ماكنة الحرب القاتلة في حصد الأرواح والتسبب بإصابات بالغة على أفراد القوى المتحاربة أبداً، بل إن الأكثر مأساوية فيها هو تجاوزها تلك الحدود في أغلب الأحيان إلى المدنيين العزل. يعطي رحيم خان صورة مقتضبة لأمير عن فريد السائق الذي سيقله من باكستان إلى أفغانستان خلال طرق وعرة في رحلته من أجل انقاذ سهراب بن حسن، صديقه وأخيه من علاقة خارج إطار الزواج. حيث سيقطعان مسافات طويلة في البلاد التي تخضع لحكم طالبان. يقول عن فريد: "في الرابعة عشرة من عمره التحق رفقة أبيه بالجهاد ضد السوفييت ... حتى مزق

رشاشُ مروحيةٍ الأبَ أشلاء ... كان عنده سبعة أطفال ... ولكنه فقد البنتين الصغيرتين قبل ذلك بسنتين في انفجار لغم أرضي ... الانفجار نفسه الذي قطع أصبعي قدميه الكبيرين وثلاثة أصابع من كفه الأيسر".[١١] في عائلة واحدة تطال الحرب ضحاياها من المقاتلين ومن المدنيين على السواء. فبعد مقتل الأب في الحرب ونجاة الابن من الموت فيها نراه يفقد ابنتيه في انفجار لغم وخمسة من أصابع يده وقدميه.

تطارد الحرب ضحاياها في كل مكان في الجبهات وفي الحقول والأحياء ولا تفرق بين عسكري ومدني. إذا كان المقاتلون واعين للأعمال القتالية التي يقومون بها، ومدربين بدرجة أو بأخرى على القتال ويكتسبون خبرة فيه مع مرور الوقت، فإن المدنيين يكونون أضعف وأكثر عرضة لأضرار الحرب المفاجئة، وأقل دراية بالتعامل مع وسائلها وتجنبها. أما القسم الأكثر ضرراً والأشد مدعاة للألم من بين كل الضحايا هم الأطفال. فلم يدر بخلد ابنتي فريد الصغيرتين وهما تتجولان في الحقل أن الموت يكمن لهما هناك حيث يبدو كل شيء هادئاً قبل الانفجار. ومثلهما الطفل طارق جار ليلى وصديقها، في رواية (ألف شمس مشرقة) لخالد حسيني، الذي يفقد ساقة في انفجار لغم في غزني إلى الجنوب من كابول. حيث يذهب في زيارة إلى أقاربهم هناك. كان طفلاً صغيراً حينها. لحسن الحظ أنه نجا من الموت، لكنه عاش بساق واحدة.[١٢] يعاني طارق رغم شجاعته من ذلك العوق الشديد. يكبر طارق بساق واحدة في بلاد تعصف بها الحرب، ويفتقر فيها السكان إلى أي نوع من الحماية والضمانات. ويعاني فيها الأصحاء وسليمو البنية أشد المعاناة من أجل مواجهة مصاعب الحياة وتحدياتها. لذلك يصبح السعي من أجل الحصول على وظيفة أو أي عمل أمراً شاقاً يصل حد الاستحالة مع المنافسة الشديدة في أوضاع البطالة التي يفضل فيها أصحاب العمل، على قلة فرصه، الأصحاء على شخص معاق مثل طارق.[١٣]

إنها طريقة للموت أو الإصابة يعبر عنها رحيم خان بطريقة ملفتة في معرض نقل أخبار حسن وأبيه علي لأمير. ففي زيارته لحسن في منطقة (هزاره جات) وسط أفغانستان، يعلم منه أن أباه علياً وابن عمه قضيا بانفجار لغم أرضي. يقول رحيم خان عن ذلك: "هل هناك طريقة أكثر أفغانية من هذه للموت؟".[١٤] إن مكوث الحرب في تلك البلاد طويلاً وتناسلها كما هي في العراق قد أوجدت أنماطاً وطرقاً للموت خاصة بهما. موت يرتبط بالفجيعة. من نافل القول أن الموت يبقى مصيراً مؤلماً وأمراً يطال الجميع في ظروف الحرب أو السلم. لكن الموت في السلم هو

تلك الحقيقة التي لا مفر منها إلا ما ندر مثل الموت قتلاً وما شابه. أما الموت في الحرب فهو صناعة مخالفة للطبيعة، خصوصاً إذا أصبحت الحرب سمة الحياة في مجتمع من المجتمعات. لذلك أصبح الموت في حروب البلدين ذا طرق أكثر عراقية وأفغانية.

في رواية (بغداد ... مالبورو) للكاتب نجم والي هناك وصف لذلك النوع من العسكريين أو المقاتلين الذين يجعلون الحرب صنو العسكرية أو صناعتها. يصف الراوي هذا الصنف على هذا النحو: "... لا يكتفي بلبس البذلة العسكرية والقيام بواجباته على أحسن وجه، بل ارتبط الجيش معه بالقيام بفعل عسكري، بالحرب ... من الصعب عليه تخيل نفسه ... يقوم بعمله الوظيفي بانتظار الأوامر من مرؤوسيه [هكذا] أو من الله ... باختصار هو العسكري الذي ينافس الرب إن لم يضع نفسه مكانه".[١٥] وهذا هو أحد العوامل في تحول الحرب سواء مع الأطراف الخارجية أو الأهلية منها إلى حالة مستدامة ومزمنة لا تكاد تنتهي حتى تبدأ من جديد.

في الرواية العراقية هناك نماذج من الكثرة على سحق المدنيين في آلة الحرب بحيث يحتاج حصرها إلى قائمة تمتد وتستطيل. فحربا أمريكا على العراق ١٩٩١ و٢٠٠٣ كانتا تستهدفان المدن الآهلة بالسكان بقدر لا يقل عن استهدافها للقوات العسكرية في الجبهات. فقد كان القصف الجوي بالصواريخ والطائرات سمة من سمات الحربين أودت بحياة أعداد كبيرة من المدنيين ودمرت البنى التحتية الأساسية للحياة في العراق بشكل منهجي. كان القصف من الشدة والكثافة بحيث أرعب الأطفال وشكل تجربة قاسية على أذهانهم الغضة التي لم تجد تفسيراً لما يحدث ولكنها تقرأ الخوف في عيون الكبار بحسها. فأول لقاء ليوسف مع الطفلة مها كان في ملجأ في منطقة الكرادة أثناء اندلاع حرب الكويت واشتداد القصف على بغداد من قبل أميركا. -سيلتقيها ثانية وهي امرأة ناضجة ومتزوجة بعد حرب أخرى- في ذلك اللقاء الأول عام ١٩٩١ يسألها يوسف: "هاي شبيكي؟ ليش تبكين؟ فأشارت بيدها الصغيرة إلى سقف السرداب وقالت (هذا) فقلت لها وأنا أقرص خدها: هذا؟ شنو هذا؟ فقالت: بو! بو! بو! ولمعت عيناها، ثم أعادت اصبعها إلى فمها. فقلت لها: لا، مو بوبو. لا تخافين! هذا مطر. مطر قوي. هسه يخلص ويروح. باح!".[١٦] كأن الحرب هنا مطر فعلاً، تتوقف ربما مدة من الزمن، ولكن ليس مرة واحدة وإلى الأبد. فهي تعاود دائماً ولا أحد يعرف فصول مجيئها. يمكن أن تحل في أي وقت وتعصف رعودها بكل شيء. في رواية (بغداد ... مالبورو) يؤدي قصف الطائرات

الأميركية على قرية على نهر الفرات إلى مقتل أزهار زوجة الشخصية الراوي في بيت أهلها وإبادة أربعة وعشرين شخصاً، هم كل أفراد العائلة.[١٧]

أما في رواية (زينب وماري وياسمين) فالحرب لا تصيب وليدتين صغيرتين بشظاياها، ولا ينفجر عليهما أحد ألغامها، ولا يصيبهما رصاصها المتطاير. ولكن يؤدي قصف المدينة واكتظاظ المستشفى بالمصابين ساعة ولادة الطفلتين إلى حدوث نوع من الهرج. يصاحبه مجيء صحفي أجنبي يسعى لإجراء تصوير من أجل برنامج حول الولادات في اليوم التاسع والعشرين من شباط، الذي لا يمر إلا كل أربع سنوات. "ولا أدري كيف حدث الخلط بعد ذلك ... وربما الإطلاقات النارية الكثيفة في نهاية غارة جوية جعل الارتباك يعم المستشفى الذي وقع في الفوضى ... غلطة من هذه؟ غلطة الحرب التي انتهت، أم غلطة المستشفى التي ألبستنا ثوباً واحداً، أم غلطة الأم التي لم تميز رائحة ابنتها كما يجب ".[١٨] ياسمين محمد عبد الواحد ابنة زينب تذهب إلى حضن ماري وعبد الأحد، وياسمين عبد الأحد، ابنة ماري تذهب بالاتجاه الآخر، إلى حضن زينب. هكذا تمتد غلطة الحرب سبعة عشر عاماً ولا تكتشف إلا بعد حاجة زينب المريضة إلى تبرع بالكلية فيظهر الفحص عدم المطابقة بينها وبين ابنتها بحكم الواقع. حتى ذلك الوقت لم تكن هناك مشكلة بهذا الخصوص، لأنه وببساطة لا أحد يعرف ذلك الخلط ولم ينتبه أحد لغلطة الحرب. الغلطة التي جاءت بعد كل تلك السنين تطالب بتصحيحها. ليس في الأمر أي تصحيح في واقع الحال. فقد انفتح جحيم الاضطراب على ياسمين التي عاشت طوال حياتها ابنةً لزينب وفي عائلة مسلمة. والآن عليها أن تتكيف مع حقيقة أنها ابنة عائلة أخرى مسيحية لا تعرفهم. ياسمين الأخرى تستطيع ماري بحنكتها اقناع أهلها ببقائها معها وتواصلها معهم. وهذا ما يحدث. والسبب فقر عائلة محمد عبد الواحد ومحافظتها الدينية، مما يجعل تكيف الفتاة أمراً في غاية الصعوبة. وهي التي عاشت طوال عمرها في وضع من الرفاهية من جانب، والانفتاح النسبي قياساً إلى عائلة محمد والحي الذي يسكنونه. رغم هذا تواصل الفتاة علاقتها مع أهلها الحقيقيين حتى بعد هجرتها إلى كندا.

المأزق هو الذي وجدت ياسمين الأولى نفسها فيه بعد اكتشاف الأمر وانتقالها إلى البيت الآخر. في الوقع توطدت علاقتها بهم جميعاً وخصوصاً أبيها. لم يضغطوا عليها وعاملوها برقة وتفهم وتركوها تحتفظ بحجابها وعقيدتها وسمحوا لها بالزواج من رجل مسلم. ووجدت تعاملاً وفضاء من الهدوء والسلام في البيت الجديد لا يشبه التعامل في بيت محمد الذي يعج بالعنف الجسدي تجاهها من أبيها وأخيها

الأصغر. بيد أنها عانت التشظي النفسي واضطراب الشعور بالهوية لازمها سنوات طويلة. لم تتغلب على ذلك الانشطار، ومع ذلك تعلمت أن تعيش معه. فليس هناك من حل لتصحيح غلطة حرب حدثت قبل عقود، وجاءت بعدها حروب أخرى أكثر وطأة وأشد قسوة.

تواجه (بري) من شخصيات رواية (ورددت الجبال الصدى) لخالد حسيني مشكلة هشاشة الهوية بعمق. تعيش بري كامل حياتها تقريباً في فرنسا بعد رحيلها مع نيلا أمها بالتبني وهي طفلة. هي لم تشعر بالمشكلة في حياتها سوى ومضات من طفولتها تشبه الأحلام تطفح في ذاكرتها وتختفي دون أن تتبين حقيقتها. تمر في ذهنها مشاهد من القرية التي عاشت فيها حتى الرابعة من عمرها قبل بيعها إلى عائلة ثرية لا تنجب أطفالاً في كابول. وقد باع صبور ابنته بسبب الفقر وبتشجيع من نبي صهره. ولا تكتشف بري الأمر بالتفصيل إلا بعد أن ينقل لها الدكتور ماركوس رسالة نبي التي تركها قبل موته وكلفه بالبحث عن بري وايصالها لها. تعبر عن ذلك في حديثها مع بري الأخرى ابنة أخيها. تشير بري الصغرى إلى بناية على الطريق بأنها المكان الذي ولدت فيه. ترد العمة بأنه شيء جيد وأنها محظوظة. تفصح ابنة الأخ عن عدم اهتمامها بالأمر. تجيب العمة: "عجباً، بالطبع لا. لكن من المهم معرفة ذلك، أن تعرفي جذورك. معرفة من أين بدأتِ بوصفك شخصاً. بعكسه، تبدو حياتك لك ليست حقيقية. مثل لغز. *Vous comprenez?* [هل تفهمين؟]".[١٩] وشعور بري بأزمة الهوية نابع من إدراكها المتأخر بأنها تقف على أرض رخوة لا تمنحها الثبات. وأكثر من هذا الألم الممض لعلمها بأنها فقدت أهلها الحقيقيين دون إرادتها. أرغمت على ذلك وتم التخلي عنها.

في بعض أجزاء الرواية العراقية يمكن تلمس درجة من التسجيلية لتلك الأحداث. يدل عليه تواتر بعضها بشكل شبه مطابق في عدد من الروايات. ومن تلك الأحداث ما تدعمه الذاكرة العراقية لأجيال مختلفة شهدتها ومازالت على قيد الحياة لترويها. وليس اولئك الروائيون سوى جزء من تلك الأجيال التي عاشت التجربة أو عاصرتها بطريقة أو بأخرى. فرواية (طشاري) تروي على لسان الشخصية الرئيسة وردية حادثةَ قصف في حرب تحرير الكويت ١٩٩١ يسقط فيها صاروخ على المنزل المقابل لبيت ابنتها هندة في شارع ٥٢ في الكرادة، فيقتل كل من فيه.[٢٠] ونلحظ حدثاً مشابهاً في رواية (يامريم) لسنان أنطون يجري في نفس المنطقة من بغداد في تلك الأيام حيث يروي يوسف قصف بناية بريد العلوية التي تخطئها الصواريخ ثلاث مرات. في جميعها يدمر القصف عمارات قريبة منها

ليست تابعة للحكومة. يسخر يوسف من أدعاء الأمريكان حول دقة ضرباتهم، ويتساءل عن علاقة بريد العلوية بتحرير الكويت. يقرر التوجه نحو البناية المدمرة القريبة من بيتهم وعند وصوله يشاهد مئات الأوراق المتناثرة. يتفحصها ولا يجد فيها سوى فواتير هاتف وأوراقاً تخص المكتب.[٢١]

كل حرب تحمل في ذاتها العدوان. ولم تكن حروب التدخل والإحتلال على العراق وأفغانستان استثناءً. وخاصية هذه الحروب هي الفارق الكبير في ميزان القوى بين المتحاربين. ففي هذه الحروب كانت القوى العظمى في عصرنا هي التي خاضت حروبها في هذين البلدين مدججة بأقصى ما وصلت إليه تقنيات التسليح. وهي تتفوق من حيث الكم، والقدرة التدميرية، والمستوى التكنلوجي. وعليه فإن القوات الغازية تسلك سلوكاً متغطرساً لا تخشى فيه رادعاً في الغالب، بحكم موقع بلدانها المهيمن في ميزان القوى العالمية الذي يشعرها بالحماية من أية تبعات محتملة على الصعيد الدولي.

تتنوع الانتهاكات في الحرب، هذا إذا لم نعد الحرب أصلاً نوعاً من أشد أنواع انتهاك الطبيعة التي يجب ان تكون عليها الحياة. وهي أن تكون على شيء من الطمأنينة والسلام. الحرب في حقيقتها سلسلة من الانتهاكات تنتج فظائع وآثاراً تبقى حتى بعد أن تصمت المدافع، ولا تزول بسهولة. من أمثلة تلك الحوادث ما جاء في رواية (عداء الطائرة الورقية). يهاجر أمير مع أبيه تاركين البلاد بسبب الحرب الدائرة بعد التدخل السوفييتي، يحدث أمر يهزهما وكل من معهما. فأثناء الرحلة من كابول إلى جلال آباد ثم بيشاور الباكستانية عام ١٩٨١، تتعرض الشاحنة التي تقل دزينة من المهاجرين الفارين من الأوضاع المستجدة والقتال الدائر في البلاد، ومن ضمنهم أمير وأبوه إلى موقف خطير في الطريق. ففي نقطة تفتيش منطقة (ماهيبر) للقوات السوفييتية مع الجيش الأفغاني يبرز لهم جندي روسي تحت تأثير المخدرات المنتشرة في افغانستان. يرى ذلك الجندي شابة جميلة مع زوجها وطفلهما ضمن الركاب. يطلب منهم طلباً غريباً ووقحاً. وهو أن يقضي نصف ساعة مع تلك المرأة مقابل السماح لهم بالمرور. بعد أخذ ورد مع زوجها يزداد الجندي وقاحة، ولكن أبا أمير يتصدى للحديث معه يساعده في الترجمة السائق وأحد الجنود الأفغان. يحاول أن يثنيه موبخاً إياه بالتساؤل فيما إذا كان يشعر بشيء من الخجل. إلا أن الجندي يرد بأنها حرب، وليس في الحرب من خجل. وعندما يرفض منطقه هذا، يهدد الجندي بأنه سيشعر بالمتعة بإطلاق الرصاص عليه بنفس الدرجة التي سيشعر بها مع تلك المرأة. يستشيط أبو أمير غضباً قائلاً: إنه مستعد

لتلقي ألف رصاصة على أن يسمح بحدوث مثل هذا الفعل الفاحش. يستل الجندي سلاحه ويهم بإطلاق النار على الرجل. وبينما يغمض أمير عينيه لهول الصدمة التي سيتلقاها بمقتل والده، تدوي رصاصة تجعله يشعر بنهاية والده. وما أن يفتح عينيه يرى والده ما زال واقفاً، وضابطاً روسياً متوسط العمر يقف خلف الجندي رافعاً مسدساً، فوهته إلى الأعلى يتصاعد منها الدخان. هكذا أوقف الضابط ذلك الجندي المتهور والوقح في اللحظة الأخيرة. يعتذر الضابط عن سلوك الجندي المدمن ويشير إليهم بالمغادرة.[٢٢] هذه تجربة واحدة في حرب ما زالت في تلك المرحلة في بدايتها. وسيرتكب كل الأطراف فيها فظائع لا تُعد.

ليست خسائر الحرب محدودة في نطاق الأرواح والإصابات الجسدية والممتلكات والإمكانات المادية، إنما تتعدى ذلك للتسبب بحالات وأعداد لا تحصى من الخراب النفسي للأحياء بسبب فقدان أعزاء، أو الشعور بالإذلال والمهانة. حتى الجناة في الحرب الذين لا تطالهم نيرانها، بعضهم لا يخرج منها سالماً ويلازمهم الشعور بالذنب والإثم طويلاً، ويقض مضجعهم ويصيبهم بأضرار نفسية يصعب شفاؤها.

تعرض رواية (بغداد ... مالبورو) جريمة حرب تتمثل بإبادة كتيبة عراقية حاصرتها القوات الأميركية وقوات التحالف في حرب ١٩٩١ لأسابيع في منطقة حفر الباطن. أخذت تجهيزات الكتيبة تنفذ وبقيت لأيام من دون طعام أو شراب حتى وقعت في الأسر. كان تعدادها بالمئات. يقرر الرائد الأميركي راي برينس، الذي يقود كتيبة من قوات درع الجزيرة بمعونة عشرين ضابطا أميركياً، أن يدفن الجنود العراقيين أحياء في مقبرة جماعية. ولأجل هذا يستعملون عشرين حفارة. كان حظ اللفتينانت ثانٍ دانييل بروكس سيئاً للغاية. فهذا الجندي المسالم الذي قضى خدمته لما يقرب من عشرين عاماً في المستودعات وخدمات التجهيزات اللوجستية لم يستطع أن يتخلص من كره الرائد المزمن له. حرص الرائد على استقدامه تحديداً لإشراكه في هذه المهمة التي يعرف أن بروكس لا طاقة له على القيام بها أو حمل وزرها. لقي الجنود العراقيون حتفهم جميعاً مدفونين، وعاش دانييل بروكس معذباً طيلة حياته. رفض القيام بهذه الجريمة ولكن حاصره الرائد وأخيراً صعد إلى جانبه في واحدة من الحفارات التي تقوم بالمهمة، وصوب مسدسه إلى رأسه مجبراً إياه على إهالة التراب على اولئك الأسرى العزل.[٢٣] كان بروكس يعرف بـ (سمايلي مان)، الرجل الباسم، لأنه ودود لا تفارق الابتسامة وجهه، بعد ذلك اليوم فقد ابتسامته وعاش عذابه. لم ينفعه رجال الدين ولا اعترافاته، ولا الأطباء ولا

علاجاتهم. سيقتل دانييل بروكس لاحقاً في العراق بعد حرب ٢٠٠٣، ليس بوصفه جندياً أو جزءاً من القوات الأميركية، إنما بوصفه زائراً بحثاً عن وسيلة للتكفير عن ذنوب أجبر على ارتكابها. هذا الجانب سيتم بحثه في الفصل الثاني من هذا البحث. إن الإشكال الذي يطرح نفسه هنا هو تضاؤل عملية إبادة مئات من البشر بالقياس إلى أزمة ضمير بروكس وصدمته المتأتية من تلك الجريمة. تضخمت معضلة الجندي الأمريكي ومعاناة الشعور بالذنب لديه في الرواية، بينما مرت حادثة دفن الجنود العراقيين الأسرى وتراجعت إلى مستوى ثانوي في الحبكة التي تابعت بروكس ونمو شخصيته وفقاً لضرورات تقنية ربما. فبدلاً من سعي بروكس إلى فضح تلك الجريمة، والكشف عن مكان تلك المقبرة الجماعية للرأي العام أو البحث عن ذوي الضحايا ليعرفوا قصة أبنائهم ومكان قتلهم واخفاء جثثهم، نرى اهتمام الجندي الطيب يتمركز حول دفتر مذكرات واحد من اولئك الجنود فيه رسالة لصديق له قادته للبحث عن ذلك الصديق في بغداد، بعد احتلالها في حرب ٢٠٠٣، لينتهي مقتولاً بدوره على يد جماعة إرهابية.

ليست حالة دانييل بروكس حالة فردية في الجيش الأميركي أو القوات المتحالفة. فهناك الكثير ممن يملكون ضميراً حياً يقودهم وضعهم المهني إلى المشاركة في الحرب، أو ربما احدى جرائمها، أو يجبرون على المشاركة بها كما هي حالة صاحبنا بروكس. وإذا كان هذا الجندي شخصية في رواية، ربّ من يقول إن حكايته وحكاية دفن الجنود هي من نسيج أدب تخييلي. وبالتالي فإن الشعور بالذنب الذي يلاحقه وعذاباته لا تقوم على أساس. عندها نقول إن أمثال بروكس ليسوا قليلين في الواقع. بعضهم يدرك مدى الإشكالية التي تنطوي عليها الحرب بدءاً وحتى قبل أن يقتحم سوح المجابهة فيها. هذا جول تُورنبسيد، المجند في الجيش الأميركي الذي شارك في (عاصفة الصحراء)، ألف كتاباً يستحق الاهتمام عن تجربته في تلك الحرب. يسأل بعضُ المجندين رفيقهم جول تورنبسيد، في كامب بندلتون وهم يتهيأون للتوجه إلى الحرب التي بصدد الاندلاع في الخليج عام ١٩٩١، لمَ لا يكون طبيعياً. جول كان مهتماً بالفلسفة والكتابة، وتغيّب مدة عن وحدته، والتحق بعد أن دعوه للالتحاق بالحرب. يجيبهم مستنكراً: "طبيعي؟ وهنا ... في المستودع ١٣ في كامب بندلتون؟ لحمل ... بندقية نصف أوتوماتيكية. ولأيّ هدف. لقتل الناس. هل هذا طبيعي. روبن يصرخ في منتصف الليل، وروزنكويست يشخ في فراشه -ونحن مازلنا في كاليفورنيا اللعينة- هل هذا *طبيعي*؟ إذا كان هذا طبيعياً، فأنا سعيد تماماً أن أكون شاذاً".[٢٤] لا يرغب تورنبسيد بقتل أناس مدنيين،

أو جنود مثله على الطرف الآخر، ربما ليسوا على قناعة بالحرب وسيقوا إليها سوقاً. ومهما كانت الأسباب فإن أمثاله يرون أفضلية اللجوء لوسائل عديدة لحل المشكلات الدولية العالقة قبل اشعال أية حرب، خصوصاً وأنهم خبروا تاريخاً طويلاً من تدخلات بلادهم في مناطق عديدة من العالم، كان الدخول فيها ونتائجها كارثية وسببت الكثير من التدمير والآلام.

يصدر علي بدر الجزء الخامس من روايته (أساتذة الوهم)، المعنون (فرار من الحرب عيسى في البتاويين) بقصيدة للشاعر والكاتب الفرنسي Boris Vian بوريس فيان. جاء فيها:

"سيدي الرئيس/ أرسل لك رسالة ... / لا أريد الذهاب إلى الحرب/ أنا لا أعيش على الأرض/ لقتل الفقراء./ لا تغضب،/ لا بد لي أن أقول لك،/ بأني اتخذت قراري أن أكون فراراً [هكذا] من الجيش".[٢٥]

وقد أصبح نص القصيدة جزءاً من متن الرواية، يتطابق محتواها مع سلوك عيسى بفراره من الحرب ورؤيته لها. فرفض عيسى للحرب هو رفض لقتل الفقراء، كما جاء في القصيدة. فمن وجهة نظر جندي رافض للحرب وعازف عن المشاركة في حفلات الدم العبثية فيها، لا يكون الجنود على الطرف الآخر أعداءً، إنما هم فقراء ووقود في حرب الأغنياء والقادة وأصحاب السلطة والنفوذ. وعيسى جزء من ظاهرة مثلتها (جماعة بهية) في هذه الرواية في سنوات الثمانينيات. وهي تجمع لشعراء وأدباء جنود قرروا أن يفروا من الحرب التي يرفضونها، ويعارضون النظام القائم آنذاك. ينتهي الأمر بإعدامهم جميعاً.[٢٦] في أوقات الإجازة، بل حتى في خضم الحرب في الجبهات، كان عيسى يحيط نفسه بعالم من صنعه هو. يعزل نفسه فيه ويتعالى على وحشية الواقع سبيلاً للهروب من المأساة. كل سلطة قاهرة لا يترسخ سلطانها ولا يتضخم إلا على حساب حرية الإنسان. وفي الحرب تكتسب السلطة قوة طاغية عبر سيادة منطق العنف. لذلك ينسحق أناس مثل عيسى، وسلمان ماضي، ودانييل بروكس، وتورنبسيد.

تستنزف الحرب الموارد وتضعف الاقتصادات. وتنتعش فيها قطاعات التسليح ودعم الآلة الحربية، وهي قلما تعود بأية فائدة تذكر على شرائح المجتمع الواسعة. إن الحقيقة الأكيدة في كل بلد تحل فيه الحرب هو تخلي الدولة عن الكثير من مهامها تجاه المجتمع وتوجيه المقدرات المتاحة للجهد الحربي. والنتيجة هي إفقارٌ بمديات واسعة وسقوط جموع غفيرة في فخ الفاقة والعوز. ترسم روايات خالد حسيني صورة قريبة من واقع انهيار حياة الغالبية في أفغانستان نتيجة الحروب المتتالية.

يصل أمير إلى كابل قادماً من الولايات المتحدة بعد هجرة امتدت أكثر من عشرين عاماً. تصدمه الأوضاع المزرية للسكان هناك. يصف أحوال الناس منذ وصوله للمدينة. يتطرق إلى اتساع ظاهرة التسول، رغم إنها كانت موجودة في المدينة ويتذكرها مذ كان طفلاً، ولكن الآن أصبح الكثيرون يتسولون حيث لا سبل أمامهم للعيش. يلحظ أن: "... المتسولين كانوا في الأغلب أطفالاً الآن، ناحلين وكالحي الوجوه ... يجلسون في أحضان أمهاتهم المتشحات بالبراقع ... وينادون (بخشِش، بخشِش!) عطايا، عطايا. وهناك شيء آخر ... وهو يندر أن يجلس أيٌّ منهم مع رجل بالغ – فالحرب جعلت من الآباء عملة نادرة في أفغانستان".[٢٧]

من النماذج التي تؤكد هذه النتيجة الحتمية للحروب الطويلة في البلدين: أي غياب الرجال ومقتل الكثيرين، هو الخوف والقلق الذي تفصح عنه ياسمين من الحرب لأن لها عائلة فيها رجال، أو بالأحرى عائلتين. وهي تغمط عائلة صديقتها تبارك، التي تسميها (بيت البنات)، لأن فيها الأم وبناتها دون رجل، لا زوج ولا أخوة: "بيت البنات يعني بيتاً بلا قلق .. ولا رجالاً يذهبون إلى الحرب وقد لا يعودون .. ولا أخاً يفزعون لغيابه .. الحرب لا زالت مستمرة في كل مكان إلا بيتهم".[٢٨]

وتتطرق إنعام كجه جي إلى الفقر والأمراض وتدني مستوى الحياة وانهيار مقوماتها. "... يخيل إلي أنني أرى صور الأطفال الذين أودى بهم سوء التغذية والمياه الملوثة وبقايا الأسلحة المشعة".[٢٩] إن الغذاء ونوعيته التي تضمن حياة صحية ونشطة، والمياه النظيفة الصالحة للشرب، والسلامة من المؤثرات السامة الخطيرة التي تهدد الحياة ليست مسائل ثانوية، بل هي مستلزمات وجودية، تخص الوجود الفيزيائي للإنسان وصلاحية بيئته للعيش فيها.

يسجل بيتر بومنت معضلة افتقار مستشفى مهم مثل مدينة الطب في بغداد وقت الحرب للمضادات الحيوية. وهي أبسط وأهم أنواع الأدوية التي لا يمكن الحديث عن علاج الكثير من الإصابات والعمليات والجروح والأمراض من دونها، ويمكن لأي من تلك العوارض أن ينتهي إلى الإلتهابات ثم الوفاة من دون تلك العلاجات. حينما يسأل الصحفي الطبيب العراقي عن مصير الجرحى والمصابين، يجيب الطبيب باستسلام بأنهم لا يملكون مضادات حيوية كافية، وأن الكثير منهم سيكون مصيرهم الموت بسبب ذلك.[٣٠]

مرة أخرى وفي أغلب الأحوال تكون الفئات الأضعف أكثر عرضة لتداعيات الحروب، وآثارها عليهم أبعد تأثيراً. الأطفال من أكثر الفئات هشاشة أمام مثل هذه

الهـزات ويتميـزون بضـعف مقـاومتهم لمصـاعبها. ويصـبحون مـادة سـهلة للاسـتغلال مـن عصـابات الجريمـة فـي أوضـاع الانفـلات والفقـر مصـحوباً بحرمـان الكثيـر مـنهم مـن الرعايـة فـي حـالات مقتـل ذويهـم وغيـاب القـانون وحمايـة المؤسسـات الحكوميـة. تتنـاول روايـة (بغـداد ... مـالبورو) أوضـاع الأطفـال فـي العـراق فـي ظـل الحـرب والوضـع الخطيـر الـذي وصـلوا إليـه. يتحـدث سـلمان ماضـي إلـى صـديقه عـن تلـك الوقـائع التـي يشـاهدها بنفسـه كـل يـوم. عـن إدمـان الأطفـال لمـادة الثنـر الكيمياويـة التـي تحـدث فـيهم تـأثيراً مخـدراً، وعـن تسـولهم فـي الشـوارع دون عوائـل أو أهـل. ويصـفهم بـأنهم أبنـاء الحـروب.[٣١] لا يفـوت الصـحفي بومنـت توثيـق هـذه الظـاهرة عبـر تعرفـه علـى عصـابة مـن المـراهقين والأطفـال المشـردين يقـودهم شـخص يـدعى عـلاء. يعيشـون فـي العـراء علـى ضـفاف دجلـة جهـة شـارع أبـي نـواس. يمـتهن اولئـك الأطفـال التسـول والسـرقة، ويـدمنون العقـاقير المخـدرة. يخبـرون بومنـت أنهـم فـي حاجـة إلـى المـال لـيس لأجـل الطعـام أو المسـكن أو الثيـاب، إنمـا للحصـول علـى المـواد المخـدرة.[٣٢] مرحلـة الطفولـة والمراهقـة هـي الجـزء مـن الحيـاة الـذي تتفـتح فيـه امكانـات الإنسـان ويتشـكل تكوينـه ونمـوه الجسـدي والنفسـي. هـي المرحلـة التـي يجـب أن تكـون الأقـل عنـاء فـي الحيـاة. فيهـا تتكفـل العائلـة والدولـة بتـوفير الإمكانـات الماديـة والتعليميـة والتربويـة اللازمـة لـذلك النمـو. ولكـن فـي بلـدين تطحنهمـا الحـرب تعطينـا الروايـة صـورة واقـع اليـتم وتخلـي المؤسسـات الحكوميـة عـن مسـؤولياتها تجـاه الأطفـال الفاقـدين للرعايـة. لـذلك ينتهـون إلـى الشـوارع مشـردين تـذوي أجسـادهم وتتـردى نفسـياتهم بتـأثير الحرمـان وإدمـان المخـدرات والانحـدار فـي عـالم الجريمـة. يبـدو واضـحاً ارتبـاط نمـاذج تـدهور أوضـاع الأطفـال فـي هـذه الأعمـال الروائيـة بـالحرب، وكونهـا ناتجـة عنها.

مـن الواضـح أن الموقـف تجـاه التـدخلات الأجنبيـة والحـروب بـين الروايـات العراقيـة هنـا وروايـات حسـيني يتبـاين ويأخـذ منحـى مختلفـاً. فقـد اجمعـت الروايـات العراقيـة موضـوع الدراسـة علـى كشـف حقيقـة الغـزو الأميركـي وآثـاره المـدمرة مـن خـلال الأحـداث والشخصـيات وتطورهـا. وبالمقابـل إذا فعلـت روايـات خالـد حسـيني الشـيء ذاتـه مـع التـدخل السـوفييتي فـي افغانسـتان بصـورة متـواترة وبأقصـى درجـة مـن التفصـيل، فإنهـا تغاضـت تمامـاً عـن أي أثـر سـلبي للحـرب الأميركيـة فـي أفغانسـان. صـحيح أن تلـك المواقـف تـرد علـى لسـان شخصـيات فـي أعمـال حسـيني وتمثـل مواقفهـا، ولكنهـا أيضـاً لا تكشـف عـن مواقـف متناقضـة علـى لسـان شخصـيات أخـرى بهـذا الصـدد مـثلاً. فمقاتلـة السـوفييت فـي أفغانسـتان سُـميت جهـاداً وتـرد بهـذه اللفظـة

بالحرف اللاتيني (jihad) في جميع روايات حسيني. والروايات تأخذ هذه التسمية التي شاعت في حينها واتخذت دلالة ايجابية خلال الدعاية الغربية المساندة لذلك الجهاد والدعم المكثف له من قبل حكومات الغرب في الثمانينيات. على أن مقاتلة القوات الامريكية والقوات المتحالفة معها في غزو أفغانستان والعراق بعد ذلك سمته نفس الآلة الاعلامية الغربية إرهاباً. ينشغل الأب في رواية (عداء الطائرة الورقية) بالتحليلات السياسية ويتبنى آراء فيها شيء من الغرابة. يعد العالم خالياً من أية دولة حقيقية سوى ثلاث: أمريكا، بريطانيا، وإسرائيل. وينتقد العرب بشدة لتكاسلهم وانشغالهم بالأموال التي يدرها عليهم النفط.[٣٣] لا شك أن انتقاد العرب – بعضهم على الأقل – بهذا الخصوص أمر مفهوم وصحيح إلى درجة كبيرة، ولكن مديح اسرائيل ليس مفهوماً مع احتلالها الأراضي وتشريد أصحابها والظلم الشديد الذي وقع عليهم وما زال. ومع أن الموقف من (المجاهدين) سيتغير على صعيد اجتماعي واسع، بعد استلامهم للسلطة والحرب الأهلية الطاحنة التي اشعلوها، الأمر الذي ستعكسه روايات حسيني بوضوح وبشكل مستمر، إلا أن الموقف من (الجهاد) نفسه لا يتغير. ويبقى ذلك النشاط الجهادي منزهاً بمعزل عن الظروف والصراعات الدولية والإقليمية والمصالح التي تداخلت معه ووظفته.

ما يفسر الموقف من أميركا ربما هو أن حربها أزاحت كابوس حكم طالبان من جانب، ولأن روايتين من أصل ثلاث تتوقف أحداثهما بعيد تلك الحرب وإسقاط طالبان، إلا أن الرواية الثالثة تمتد في أحداثها إلى سنوات بعد ذلك التاريخ. ومع ذلك تتجنب روايات الكاتب حتى الخوض في فشل المشروع الأميركي في إرساء نظام يوفر قدراً أدنى من ظروف حياة آمنة ودرجة من العدالة تؤمن الأسس لحل التوترات المستمرة في البلاد. ورغم أن الروايات تكشف عن بعض من تلك المشكلات، بالأخص رواية (ورددت الجبال الصدى)، فإنها لا تشير إلى ارتباط تلك المشكلات بحرب أميركا.

إن الشرور التي أصابت أفغانستان لا تبدأ فعلاً مع التدخل السوفييتي، إذا أردنا الابتعاد عن الدعاية السياسية الغربية والأمريكية. فقد كان الغرب محرضاً وداعماً مادياً وسياسياً للاضطرابات قبل ذلك. فقد شجع الغرب ودعم بقيادة أمريكا، بالتنسيق مع بعض بلدان الشرق الأوسط مالياً وإيديولوجياً وتعبوياً، باتجاه تأجيج المواجهات عبر اشعال ما سمي بـ (الجهاد) ضد الحكومة الموالية للسوفييت على خلفية مواجهة الحرب الباردة بين الغرب والشرق. الأمر الذي قاد إلى تدخل السوفييت والتداعيات اللاحقة المؤلمة التي تلته. "إن التطرف الإسلامي في أفغانستان ابتدأ مباشرة بعد أن تولت الولايات المتحدة دعم المجاهدين

في وقت مبكر من عام ١٩٨٠... وقد غُرست البذور الإيديولوجية والمادية لذلك التحول خلال سنتي ١٩٧٩-١٩٨٠".[٣٤]

هنا تجب الإشارة إلى السياق الذي أنتجت فيه تلك الأعمال الروائية. فإذا كانت الروايات العراقية كُتبت باللغة العربية ونشرت في العراق أو في دور نشر عربية، فإنها تتوجه إلى القراء العراقيين والعرب بالأساس، على الأقل عند كتابتها ونشرها الأول. وعليه كان التفكير في تأثيرات الانطباع الأميركي أو الغربي لدى كتابها مستبعداً. في حالة خالد حسيني الأمر يختلف. هو كتب رواياته في أميركا باللغة الانكليزية رغم إجادته للغة الفارسية – اللغة الأكثر تداولاً على الصعيد الرسمي وفي الإنتاج الثقافي في أفغانستان-. إن هذا يؤكد حقيقة العلاقة الملتبسة والمعقدة بين الثقافة والسلطة. المعنى المقصود بالسلطة هنا هو ذاك الذي يطرحه ميشيل فوكو، بوصفها سلطات متنوعة، ذات مراكز، لا مركز واحد، وتنتشر في شكل مؤسسات لها خطابات عديدة مهمتها الضبط والتوجيه والسيطرة. "تجيب المؤسسة: لا تخشَ أن تبدأ؛ فكلنا هنا لنريك بأن الخطاب خاضع لقوانين؛ وبأننا نسهر، منذ زمن طويل، على ظهوره؛ وأن مكاناً قد أعدَّ له، مكاناً يشرفه لكنه يجرّده من سلاحه. وأنه إذا حصل أن كانت له بعض السلطة فإنه يستمدها منّا ومنّا فقط".[٣٥] هذا النوع من السلطة متغلغل يمارس تأثيره عبر الصمت، أو تجنب ما لا يقال، أو بالحذف. إنه نوع يمتلك القوة على إنتاج خطاب موارب أحياناً. فكلما كانت القوة عاتية كلما كانت توحي بخطابها إيحاءً دون ضجيج. للقوة بلاغتها التي تفرض خطاب ذاتها وتنزع عن الآخر صوته.

ينزع الراوي في رواية علي بدر (أساتذة الوهم) الشرف عن أمته عندما ينظر إلى بطش السلطة وقسوة الحرب اللتين قضت على جميع أصدقائه بين الإعدام والموت في الحرب. يربط بشكل لا ينفك بين أمن وكرامة الإنسان وسلامته وحريته وبين معنى الشرف الحقيقي. "لقد ماتوا ... ولكنهم موجودون في الهناك، في المدينة المحلومة، في الشرف الرفيع للمجهولين، إنه شرف ما بعده شرف طالما لم يعد لشرف أمتي بعد الحرب أي معنى في حياتي".[٣٦] يضع الراوي قيمة الشرف ورفعته في إولئك المجهولين والمغيبين من أصدقائه وأمثالهم ممن آمنوا بالسلم وبالكلمة سبيلاً للحياة ورفضوا منطق العنف الذي يخلق المجازر. وقبل أن تنفرط حياتهم فضلوا كتمان إبداعهم والقبول بالبقاء في الظل بتحملهم العزوف عن نشر انتاجاتهم. بالمقابل تميل رواية حسيني (ألف شمس مشرقة) عبر شخصية السائق إلى إبراز قسوة الغزوات الأجنبية على أفغانستان بروح مشبعة بالوطنية. فالسائق الذي يقل بابي والأطفال في رحلتهم، إلى بعض الأطلال من النافذة، يشير قائلاً إنها تدعى مدينة الضحاك التي بنيت قبل تسعمئة سنة للدفاع عن الوادي ضد الغزاة، وإن حفيد جنكيز خان هاجمها ولكنه قُتل. بعدها جنكيز خان نفسه دمرها. ثم يعلق السائق على ذلك: "وهذه، يا أصدقائي

الصغار، هي قصة بلادنا، غازٍ من بعد آخر ... المقدونيون، والساسانيون، والعرب، والمغول. والآن السوفييت. بيد أننا مثل تلك الجدران. مهدمة، وليس فيها من الجمال ما يدعو للنظر، ولكنها ما زالت منتصبة. أليست تلك هي الحقيقة، أيها السيد؟ ردّ بابي: هي الحقيقة، بلا شك".[٣٧]

كل ما قاله السائق صحيح بخصوص الغزوات التي تعرضت لها أفغانستان. لكننا نشهد قفزة هنا تمتد لأكثر من سبعة قرون، من الغزو المغولي لأفغانستان في القرن الثالث عشر وحتى التدخل السوفييتي في الربع الأخير من القرن العشرين. في هذه القفزة يتم إهمال وتناسي الغزوات الانكليزية الثلاث لأفغانستان خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. فقد أغفل السائق الغزوات الانكليزية الشهيرة. وقد عرفت تاريخياً بالحرب الانكليزية–الأفغانية الأولى ١٨٣٨–١٨٤٢، والحرب الانكليزية–الأفغانية الثانية ١٨٧٨–١٨٨٠، والحرب الانكليزية–الأفغانية الثالثة ١٩١٩.[٣٨] وهي أقرب تاريخياً دون شك، وحظيت بتوثيق أدق وأشمل فاق بدرجات كبيرة بقية الغزوات التي ذُكرت في الرواية. وكل شخص في أفغانستان يعرف شيئاً عنها. فلمَ غفلت الرواية هذه الأحداث دون غيرها؟ لمَ غفلت من الغزوات عبر التاريخ ما يتعلق بالإنكليزية منها؟ يمكن أن يكون السائق جاهلاً بالأحداث لقلة تعليمه مثلاً. ولكنه أظهر معرفة جيدة بالتاريخ البعيد وجهلاً بالقريب منه. ولكن ما بال بابي (حكيم)؟ مدرس الثانوية والمثقف ثقافة واسعة، الذي تتهمه زوجته بقلة خبرته بالمسائل العملية المنزلية وتمتدح سعة اطلاعه وكثرة مطالعاته. هو صاحب رفوف الكتب التي لم ينتحب إلا لأجلها قبل مقتله بدقائق وهو يهم بمغادرة منزله مهاجراً بسبب اشتداد الحرب وتهديداتها. لماذا يؤمن على كلام السائق حين يسأله: (أليست تلك الحقيقة؟) بأنها الحقيقة دون شك؟

تكمن الإجابة في تماهي السرد مع الخطاب الكولونيالي الذي يملك القوة والسلطة. وامتلاك السلطة في هذا المثال يعني امتلاك وسائلها المادية وأيضا انتشار خطابها. يتبع هذا الموقف، المشار إليه في الرواية، المعيارَ الذي يفرضه الاستعمار ويتقولب وفقاً لحاجاته، ويتبنى قيمه ورؤيته. يذكر ميشيل فوكو أن: "... المرء لا يكون واقعاً ضمن ما هو حقيقي إلا عندما يكون مستجيباً لقواعد 'شرطة' فكرية يتعيّن عليه بعثها في كل خطاب من خطاباته".[٣٩] إذن ليس بالضرورة أن تفرض السلطة إرادتها والمقولات التي تمثلها قسراً، بل أن أكثر الخطابات انكشافاً هي تلك التي تفرض عنوة وبشكل مباشر. على أن خطاب السلطة الرسخة يمر بشكل مرن ويهيمن عبر آليات انتاج الفكر ومؤسساته ليصبح حاملاً للسائد من الثقافة. وتعبير (حقيقي) عند فوكو نفهم منه أنه الواقع الحقيقي الذي يخضع لشروط التنازع والصراع ورغبة الهيمنة في ظل عالم متناقض المنافع والغايات، وليس المقصود به الحقيقة.

الهوامش

[١] جورج لوكاش، نظرية الرواية، ترجمة: نزيه الشوفي، دمشق، ١٩٧٨، ص٢٦.
[٢] علي بدر، أساتذة الوهم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١١، بيروت، ص٩٦.
[3] Hosseini, Khaled. A Thousand Splendid Suns. Bloomsbury Publishing, London, 2007, p. 132.
[4] Ibid, p. 123.
[5] Ibid, p. 128.
[6] Ibid, pp. 130.
[٧] علي بدر، أساتذة الوهم، ص٢١.
[8] Beaumont, Peter. The Secret Life of War. Doubleday Canada, pp. 23-24.
[٩] أنظر: ميسلون هادي، زينب وماري وياسمين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ٢٠١٢، ص١٧١-١٧٤.
[١٠] إنعام كجه جي، طشاري، دار الجديد، ط٢، بيروت، ٢٠١٤، ص١١٢.
[11] Hosseini, Khaled. The Kite Runner. Bloomsbury Publishing, London, 2004. P. 213.
[12] See: Hosseini, Khaled. A Thousand Splendid Suns. p. 113.
[13] See: Ibid, p. 299.
[14] Hosseini, Khaled. The Kite Runner. P. 191.
[١٥] نجم والي، بغداد ... مالبورو، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ٢٠١٢، ص١٥١-١٥٢.
[١٦] سنان انطون، يا مريم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، ٢٠١٤، بيروت، ص٢٨-٢٩.
[١٧] أنظر: نجم والي، بغداد ... مالبورو، ص١١١.
[١٨] ميسلون هادي، زينب وماري وياسمين، ص٤٠-٤٣.
[19] Hosseini khaled. And the Mountains Echoed. Bloomsbury Publishing, London, 2014, P. 410.
[٢٠] انظر: إنعام كجه جي، طشاري، ص١٨١.
[٢١] انظر: سنان انطون، يا مريم، ص٢٩-٣٠.
[22] See: Hosseini, Khaled. The Kite Runner. pp. 106-108.
[٢٣] انظر: نجم والي، بغداد ... مالبورو، ص١٨٣-١٨٨.
[24] Turnipseed, Joel. Baghdad Express: A Gulf War Memoir. Penguin Group, New York, 2003, p.36.
[٢٥] علي بدر، أساتذة الوهم، ص٢١٣.
[٢٦] انظر: المصدر نفسه، ص٢٧١.
[27] Hosseini, Khaled. The Kite Runner. P. 226.
[٢٨] ميسلون هادي، زينب وماري وياسمين، ص١٠٦.
[٢٩] إنعام كجه جي، طشاري، ص٢٣٩.
[30] See: Beaumont, Peter. The Secret Life of War. p. 191.
[٣١] انظر: نجم والي، بغداد ... مالبورو، ص٩٨.
[32] See: Beaumont, Peter. The Secret Life of War. p. 11-12.
[33] See: Hosseini, Khaled. The Kite Runner. pp. 116-117.
[34] Hanifi, M. Jamil. Causes and Consequences of the Destabilization of Afghanistan. in 'Afghanistan, 1979-2009: In the Grip of Conflict'. p. 24. https://www.mei.edu/sites/default/files/publications/2009.12.Afghanistan%201979-2009.pdf
[٣٥] ميشيل فوكو، نظام الخطاب، ترجمة: د. محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧، ص٧.
[٣٦] علي بدر، أساتذة الوهم، ص٩٣.
[37] Hosseini, Khaled. A Thousand Splendid Suns. p. 132.

[38] See: Miloud, Mehdani. British Interventions in Afghanistan and the Afghans' Struggle to Achieve Independence (1838-1921). Doctoral Thesis, Faculty of Foreign Languages, University of Oran 2, 2016, pp. 54,99,179.

[٣٩] ميشيل فوكو، نظام الخطاب، ص٢٧.

المصادر والمراجع باللغة العربية

- إنعام كجه جي، طشاري، دار الجديد، ط٢، بيروت، ٢٠١٤.
- جورج لوكاش، نظرية الرواية، ترجمة: نزيه الشوفي، دمشق، ١٩٧٨.
- سنان انطون، يا مريم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، ٢٠١٤، بيروت.
- علي بدر، أساتذة الوهم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١١، بيروت.
- ميسلون هادي، زينب وماري وياسمين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ٢٠١٢.
- ميشيل فوكو، نظام الخطاب، ترجمة: د. محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧.
- نجم والي، بغداد ... مالبورو، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ٢٠١٢.

المصادر والمراجع باللغة الإنكليزية

−Beaumont, Peter. The Secret Life of War. Doubleday Canada.

−Hanifi, M. Jamil. Causes and Consequences of the Destabilization of Afghanistan. in 'Afghanistan, 1979-2009: In the Grip of Conflict'. https://www.mei.edu/sites/default/files/publications/2009.12.Afghanistan%201979-2009.pdf

−Hosseini, Khaled. A Thousand Splendid Suns. Bloomsbury Publishing, London, 2007.

−And the Mountains Echoed. Bloomsbury Publishing, London, 2014

−The Kite Runner. Bloomsbury Publishing, London, 2004.

−Miloud, Mehdani. British Interventions in Afghanistan and the Afghans' Struggle to Achieve Independence (1838-1921). Doctoral Thesis, Faculty of Foreign Languages, University of Oran 2, 2016.

−Turnipseed, Joel. Baghdad Express: A Gulf War Memoir. Penguin Group, New York, 2003.

Abstract

The paper discusses the occupation wars and military interventions in Iraq and Afghanistan during the last decades, and their representations in the Iraqi novels that published in 2004-2013 in comparison with khaled Hosseini's novels. And it addressed the wars from Soviet intervention and the US invasion of Afghanistan to the Iraq-Iran war, First Gulf War, and Us invasion of Iraq. The study of the novels revealed the economic and social aftermath of these events on both Iraqi and Afghani societies. Also physical, and psychological impacts can be seen on the wars victims, either they were military personnel or civilians.

The research employed the Comparative cultural Studies approaches to analyze the phenomenon of wars and interventions in the novels in order to criticize the war as a violent mean to compete over power and hegemony. Then it showed similarities and differences of war representations between Iraqi novels and Hosseini's novels.

The paper found that the novels had covered the persistent wars events in both countries. And that the war was a tool in the hands of regional and international conflicting forces. As well the fiction works expressed the size of destruction occurred in Iraq and Afghanistan. The study shows the relation between war and power as well as the complicated relation of culture production and power forces.

Keywords: war society, Iraqi novels, Afghanistan, comparative literature, comparative cultural studies